للنشر والتوزيع الإلكتروني
ودعم الكاتبات
على الهامش
سارة عبدالمنعم

على الهامش

سارة عبد المنعم

تنسيق داخلي:- منار محمد

اسم العمل:-علي الهامش

الكاتبة:-سارة عبد المنعم

تصميم الغلاف:-منار محمد

تصميم داخلي:-منار محمد

تعبئة وتنسيق:-منار محمد

تصنفيها:-قصة قصيرة

عمل فريق:-دار خيال

تنسيق داخلي:-منار محمد

الحب يا له من شعور جميل، يطير بالمرء فرحًا حتى تكاد روحه تبلغ عنان السماء، إحساس يغزوك بل يخطفك من نفسك, فترى كل ما حولك مزدان بالألوان، وتزهر من حوله الورود، وتطير على مقربة منه الفراشات، ليطوف به الخيال، بل الواقع وكأنه في عالم آخر، وهكذا شعرت مني تجاه محمد، أحبته منذ الوهلة الأولى دون أن تعرف ماهية الشعور كيف يكون؟

كانت صغيرة جدا، فتعلقت به كتعلق الطفل بأمه، وارتبطت سعادتها بوجوده حتى كبر ذلك الحب معها.

جاء اليوم المنشود، بل اليوم الذي تنتظره كل فتاة, أن تزف كعروس إلى بيت فارس أحلامها، لا تلامس أقدام مني الأرض، سعادة غامرة تطوف بها، وضربات قلبها تتسارع حتى يكاد يسمعها المار جوارها، تنعكس لمعة الفرح في عينيها، فقد قرت أعينها بالدعوة التي لطالما تمنتها، ولم يكف لسانها عن اللهج بها يومًا حتى تحققت.

تنسيق داخلي: منار محمد

تخطـــو أول خطواتهـــا بالقـــدم اليمنـــى علـــى أمـــل أن تحـــف حياتهـــا البركـــة، ويصـــبح بيتهـــا عـــامرًا بالســـكينة والطمأنينـــة، يســـوده الحـــب، وبداخلـــه كـــل جميـــل، وكأنـــه قطعـــة مـــن الجنـــة خصيصًـــا لأجلهـــا، ومـــا لبـــث أن تحـــول إلـــى سـجن لهـــا، وقـــع ذلـــك القلـــم علـــى خـــدها كالصـــاعقة، تلاشـــت علـــى إثـــره كـــل الأحـــلام، وتبخـــرت الآمـــال، بـــل تقهقهـــرت مستســـلمة حين رج صداه أرجاء المكان.

تنتظـــر لـــه منـــى فـــي غيـــر تصـــديق، فهـــذه الليلـــة ليســـت بعاديـــة، ليلـــة العمـــر لكـــل زوجـــين، ليضـــربها عمـــرو فـــي مقتـــل، يـــنهش فـــي جســـدها، وينهـــال مـــن روحهـــا، يحطـــم براءتهـــا بمنتهـــى القســـوة، كـــالوحش الغـــادر حـــين يـــنقض علـــى فريســـته، لـــم يفهـــم خجلهـــا أو يســـتوعب خوفهـــا فـــي هـــذه الليلـــة، فـــانتزع حقوقـــه منهـــا تاركًـــا إياهـــا بـــين بـــراثن الحـــزن والألـــم، جســـدها أصـــبح مشـــوهًا بالعلامـــات، ولـــم يـــدع لهـــا جـــزءًا فيـــه غيـــر مصـــاب, فلـــم تقـــو علـــى إخـــراج صـــوت أو الحركـــة حتـــى, تـــنكمش علـــى نفســـها فـــي حالـــة صـــدمة, شـــلال الـــدموع يُغـــرق الوســـادة، ويُـــزيح عـــن عينيها الغشاوة، ولكن بعد فوات الأوان.

تنسيق داخلي: منار محمد

ـ عمــــرو، عمــــرو، توقـــف أرجـــوك، لـــم أقصـــد إزعاجـــك، ولكـــن حـــدث الأمـــر رغمًـــا عنـــي، فهـــي من جاءت للحديث معي.

تـــركض منـــى خلـــف عمـــرو، وتجاهـــد مـــن بـــين دموعهـــا أن تناديـــه، تمنعهـــا شـــهقات الـــدموع بعـــد مـــا قـــام بضـــربها أمـــام مدرســـتها، حيـــث كانـــت تقـــف مـــع فتـــاة, منعهـــا مـــن الحـــديث معهـــا، فانتفخـــت أوداجـــه، واستشاط غضبًا حين خالفت أمره.

تعـــود الـــذاكرة إلـــى الـــوراء بمنـــى، وتعـــرض أمـــام عينيهـــا كـــل الأحـــداث، وكأنهـــا وليـــدة تلـــك اللحظـــة، فتنهـــار فـــي البكـــاء أكثـــر، تضـــيق عليهـــا الأنفـــاس، تشـــعر بالاختنـــاق، وكأنـــه لـــم يعـــد هنـــاك هـــواء بالغرفـــة، كـــان كـــل شـــيء جليًـــا منـــذ البدايـــة، إلا أنهـــا كانـــت غارقـــة فـــي حبـــه، بلـــغ منهـــا مبلغـــه حتـــى هامـــت عشـــقًا بـــه، تغفـــر لـــه كـــل الأخطـــاء ظنًـــا منهـــا بأنـــه يبادلهـــا الشـــعور، ولكنـــه مـــع الآســـف لا يقـــوى علـــى تمالـــك أعصـــابه وقـــت الغضـــب، فتقـــع فـــي غرامـــه أكثـــر, فالحـــب نيرانـــه تحـــرق الحبيبـــين، فـــإن تألمـــت مرة، ارتد الأمر إليه صاعين كما أخبرها.

تنسيق داخلي: منار محمد

ـ هل مازلت نائمة؟ انهضي يا ست هانم، ما هذا الكسل؟

يوبخها عمرو بحدة، ويهز جسدها بقوة، فتأوهت، وعلا صوت نحيبها، لم تتخيل أبدًا بأنه قد يؤذيها بهذا الشكل، لتكتشف مدى خطؤها، من يقدر على إيذائك مرة، سيفعلها مرات ومرات، فيصبح حينها جرحك غير قابل للاندمال، يدفعك إلى الهاوية، ولا تعرف كيف تنهض؟

تحاول منى النهوض من مكانها، فلا تستطيع رفع جسدها حتى، ليقوم عمرو بجذبها بشدة من ملابسها, ويرميها أرضًا، ليهز صوت ارتطامها أرجاء المكان, فينزف جسدها بخدوش جديدة، وتضع يدها على فمها خوفًا منه، لا يرحم بكائها ولا يفرق معه ألمها، وكأنه يتلذذ بمعاناتها، فأخذت تجاهد لكتم أنفاسها كي لا يؤذيها أكثر.

ـ كيف حالك يا حبيبتي؟طمنيني عن أحوالك؟هكذا هنت عليكِ يا منى، لم تأتي لزيارتي منذ زفافك، وحين جئت أنا، لم أجدكم أبدًا، وأخبرني عمرو في المكالمة بأنكم ذهبتم لقضاء شهر العسل،

تنسيق داخلي: منار محمد

أردت الاطمئنان عليك، فكيف غادرتِ هكذا دون إخباري حتى؟

ارتبكت مني، وتبدل لون وجهها إلى الأصفر، وسرت قشعريرة في جسدها، ترتد في عينيها نظرات الخوف، وكأنها ترى شبحًا أمامها، لتربت والدتها عليها، وهي تحتضن أناملها بكفوفها الصغيرة في محاولة منها لتطمأنها، لترتمي مني في أحضانها، وتجد الدموع طريقها في التدفق بلا هوادة، لا تعرف بم تجيب والدتها؟, وإلى متى ستستمر في الكذب عليها؟

فلم تنبس ببنت شفه، استمرت في البكاء لعلها ترتاح, كما كانت تفعل منذ نعومة أظافرها، غدرت بها الحياة، وكأنها كبرت على غفلة منها.

فحدجها عمرو بنظرة نارية ظنًا منه بأنها أخبرت والدتها, التي هي خالته، لتكون صدمتها منه قاتلة, لم ينتبها لقدومه، لتسأله السيدة فاطمة في مزح قائلة:

تنسيق داخلي:-منار محمد

ـ يبدو بأنك لا تقوى على فراق منى, ولأجل ذلك تنظر لابنتي بهذه الطريقة، ولكن كن حذرًا ألا تكررها ثانية، وإلا سترى مني وجهًا لم تعرفه قط.

فالأم كالسيف الحاد يقطع الشيء من جذوره، لا يعرف لغة للتفاهم، يبتر الأجزاء الفاسدة كي لا تصل إلى الجذور، وتعطب الثمار الصالحة، وتقصد بذلك ابنتها، فهي فلذة كبدها وصديقتها، بل تعني كل شيء بالنسبة لها.

ارتبك عمرو، وتلجج في الحديث، يهابها منذ الصغر، وما ترمي إليه يُظهر بأن منى أخبرتها، لتتدارك منى الموقف، وتتدخل قائلة:

ـ لا تقولي هذا يا أمي، فعمرو لا يحتاج منك توصية، كالملاك هو بل فارس الأحلام الذي تتمناه كل فتاة.

تنسيق داخلي:-منار محمد

تصبب العرق من جبين عمرو، تسخر منه منى أمام والدتها، فلم يعرف ماذا يقول؟ وكأنها قد عقدت لسانه بحديثها، لتقترب منه والدتها، تربت على كتفه في حنان قائلة:

ـ بارك الله فيك يا بني, لقد صونت العشرة، وحافظت على الأمانة التي أودعتها لديك، فو الله ما كنت أرضى أبدًا بفراق منى عني، ولكن طالما هي معك، أعلم بأنها ستكون بأمان.

ثم طبعت قبلة حانية على خده، وهي تقول:

ـ شكرا يا بني، فأنت لم تخيب ظني فيك.

عادت منى مع عمرو إلى سجنه بكامل إرادتها، لم تشكو لوالدتها أو تشاركها شيئًا، لعلها ترتاح ولو قليلًا، ولكنها لم تفعل، مازالت تحبه، وكذلك تخشى على والدتها من معرفة الحقيقة، فهي مريضة قلب وضغط وسكر، ولن تقوى على احتمال الصدمة، فأثرت منى الحزن لنفسها، ليزداد عمرو في تعذيبها،

تنسيق داخلي: منار محمد

ويلون أيامها بلون واحد حالك السواد، فلا يجد منها شكوى أو تذمرًا حتى، تبلدت مشاعرها واعتاد جسدها على الألم، فلم يعد يصدر منها أي رد فعل.

- مللت من هذه الحياة التي أعيشها، وكنتِ أنتِ السبب، فما هذه المصيبة التي ألقيتها علي؟

- إهدأ يا عمرو، أرجوك تحمل يا بني، فكما تعلم بأنها ابنة خالتك الوحيدة وكل شيء سيصير ملكًا لها.

- ولكني لا أحبها يا أمي، لم يحمل لها قلبي الحب يومًا أو أي شعور حتى, سئمت من كرهي لها، أحيانًا أتخيل نفسي أستيقظ من هذا الكابوس على جريمة قتل، لم أعد أطيق العيش معها.

- منى تحبك يا بني، فلقد أجدت تمثيل الدور الذي خصصته لك، وأنا أيضًا لطالما ألقيت على مسامعها الكلام المعسول بشأنك، واستطعنا بجدارة يا بني إصابة الهدف،

تنسيق داخلي: منار محمد

فلم تريد منا التراجع الآن، وكل ما تملك سيكون تحت إرادتك، تتصرف فيه كيف تشاء، وصدقني حينها لم أقف في طريقك إن أردت إلقائك خارجًا.

تتدفق الدموع في مقلتيها بغزارة، وتكتم منى أنفاسها خوفًا من أن يشعروا بها، تستند بكل قوتها على الحائط, لا تحملها قدماها، فكيف استطاعت خالتها تدبير هذا الفخ لها بدم بارد؟ أليست هي من كبرت بين يديها؟ ولطالما عاملتها بحب، لم تتخيل أبدًا بأنها كانت تحمل ذلك الوجه الشرير، وجاهدت طوال تلك السنوات، لتُخفيه عنهم.

سمعت منى صوت الكسر، فقلبها تفتت إلى أشلاء، كانت الحقيقة مؤلمة للغاية أقسى مما تكابده في حياتها، أنفاسها تتلاحق وكأنها كانت تركض, ولكن خلف السراب، فكل ما ظنته لا وجود له، بل فاق الاحتمال عند معرفة ما خلف الجدران.

تنظـــر منـــى إلـــى الســـماء، وهـــي تبكـــي بحرقـــة حتـــى ظهر حديثها معها كالصراخ:

(قلبـي يـؤلمني يـا الله، مـا هـذا الشـعور القاسـي الـذي يفــوق الاحتمـــال، لطالمـــا تعلقـــت بالأوهـــام، ولكـــن هــذه المــرة ليســت بــوهم بــل واقــع مــؤلم، فأنــا ســجينة خلـــف القبضـــان تحـــت رحمـــة زوج مـــاجن غـــادر يارب, لا يعاملني كأني إنسان.)

تضــرب منــى علــى صــدرها بقــوة، تشــعر بالثقــل، فســـقطت أرضًـــا، ودوى صـــرخاتها يهـــز أرجـــاء المكان، وتجاهد من بين دموعها، لتكمل قائلة:

(اغفـــر لـــي يـــا الله، فأنـــا المخطئـــة، ظلمـــت نفســـي ظلمًـــا كثيـــرًا حـــين ارتضـــيت لنفســـي هـــذا الوضـــع، وتغاضــيت عــن أذيتــه لــي منــذ البدايــة، ظننتــه حبًــا يـــارب، وقـــد كـــان خدعـــة مـــن صـــنع خـــالتي، فبـــأي قلـــب اســـتطاعت فعـــل ذلـــك بـــي وبأختهـــا، التـــي لـــم تـــر منهـــا ســـوءً قـــط، فـــالطف بـــي يـــارب، وقـــويني علـــى هذا الاختبار الصعب.)

تنسيق داخلي: منار محمد

لــم تســتطع منــى العــودة إلــى بيتهــا، ولــم تقــدر علــى الــذهاب إلــى والــدتها بهــذا الشــكل، أخــذت تنظــر هنــا وهنــاك فــي حيــرة، مــا هــي إلا لحظــات، وســقطت مغشــيًا عليهــا، ولحســن الحــظ جــوار الطريــق، وإلا لدهســتها الســيارات المــارة، فانتبــه أحــد الســائقين إليهــا, ترجــل مــن ســيارته، وركــض نحوهــا، حملهــا مــن مكانهــا ثــم انطلــق مســرعًا بســيارته إلــى المستشفى.

يرســل الله دومًــا لطفــه إلينــا فــي الوقــت المناســب، رزقهــا أمــلًا جديــدًا كــي تعــيش لأجلــه، فهنــاك جنــين ينــبض فــي أحشــائها، قطعــة مــن روحهــا، ســترى الحيــاة مــن خــلال انعكاســها فــي عينيــه، الحــب الحقيقــي الــذي لطالمــا حلمــت بــه، فلــيس هنــاك أجمــل مــن تلــك العلاقــة التــي حبــا الله المــرأة بهــا، تتحــدث معــه بالســاعات، تشــعر بقربــه، فينفعــل لانفعالاتــه، وتعلــو الابتســامة ثغــره عنــد ســماع ضــحكتها، تتــنفس منــى الصــعداء، وهــي تنظــر حولهــا، فوالــدتها علــى أحــد الجوانــب، وطفلهــا علــى الجانــب الآخــر، لديها أغلى ما تملك، فماذا ستتمنى بعد ذلك؟

تنسيق داخلي: منار محمد

ـ حامل، .لا. لست مستعدًا لهذا الشيء، هذا الجنين لابد أن تذهبي إلى الطبيب لإجهاضه.

تنظر منى إلى طفلها، وهي تتذكر تلك الليلة التي علمت فيها بوجوده، فتشبثت به كالغريق الذي يتعلق بالقشة، ورغم ذلك لم يرحمها زوجها،وقف لها بالمرصاد، يريد قتل طفلها قبل أن يرى النور، نزلت عليها حديثه كالصاعقة، لتسأله في استنكار:

ـ ماذا تقول؟ هل تطلب مني قتل طفلي؟ الموت لدي أرحم من فعل ذلك.

تتوسله من بين دموعها:

ـ حرام عليك اتركه لي، فهو الأمل الوحيد الذي تبقى لي في هذه الحياة.

عمرو بسخرية:

ـ كما تشائين إذن، ولكن لن تري وجهي ثانية.

تنسيق داخلي: منار محمد

خرج عمرو منذ تلك الليلة، ولم يعد أبدًا، فوجئت مني بخبر سفره إلى الخارج، عرفته من خالتها كالغريبة، فمن هي ليأخذ رأيها؟ زوجة على الهامش منذ البداية، بل مصيبة أُبتلي بها كما أخبر والدته.

يكبر إسماعيل في أحضانها دون أن يعرف شيئًا عن والده، ولم يفهم حتى معنى تلك الكلمة، فهي تعني له كل شيء، أم وأب في آن واحد، تصارع الحياة وحدها، وتبذل كل ما بوسعها لتوفير حياة كريمة لولدها، لا تؤل جهدًا كي لا يشعر بما ينقصه، فذلك الشخص الذي يجمعها به، طعنها في شغاف قلبه، ولم يعترف يومًا بوجودها، ورغم ذلك لم تسيء إليه قط كي لا يصيب ابنها ما حصدته من والده، فهو بالنسبة إليه على الهامش كزوجته، ولكن كيف بإمكانها أن تخفيه عن قسوة العالم الخارجي.

يعود إسماعيل من الروضة منفطر قلبه، وعيناه متورمتان من شدة البكاء، لتُصعق منى عند رؤيته،

وتسأله في خوف قائلة:

ـ ماذا هناك يا حبيبي؟ لماذا تبكي بهذا الشكل؟

يرتمي إسماعيل في أحضانها، ولا تستطيع أن يقول شيئًا، فكلما حاول الحديث، قطعته شهقات البكاء، يُذكرها بحالها، فيبدو بأنه قد ورث عنها كل الصفات، وبعد محاولات عدة لتهدأته، لفظها بسؤال أصابها في شغاف قلبها،لم تتوقع أن تسمعه منه قط، فالتزمت بالصمت.

ليُكرر إسماعيل السؤال على مسامعها ثانية:

ـ أين أبي يا منى، ولما لم أره قط؟ هل هو لا يحبني؟

زاد ارتباك منى، وتلجلجت في الحديث، وهي تقول له:

ـ ما هذا الذي تقوله يا إسماعيل؟ ألم أخبرك بأنني بمثابة أمك وأبيك؟

يهز إسماعيل رأسه في نفي قائلًا:

ـ لا يا أمي، هذا ليس بصحيح، فقد سخر زملائي مني في الروضة حين أخبرتهم بذلك، وأكدت لي الميس صدق حديثهم، لابد أن يكون هناك أبًا لي كباقي الأطفال، ظننت بأنني خارقًا كما أخبرتني، ولأجل ذلك كنت مختلفًا عنهم، لكن هذا كله كذب يا منى، ألم تخبريني بأن الله لا يحب الكذابين؟ فلم فعلتِ ذلك يا منى؟

انهار إسماعيل في البكاء، وشاركته منى، لينزف جرحها من جديد، وكأنه يحدث الآن، لطالما جاهدت أن تُبعد ابنها عن كل ذلك، ورحلت عن المدينة بأكملها مع والدتها، التي ذهبت معها دون سؤال رأفة بحالتها، فقد كانت شبيه بالأموات، وصارعت الموت لأجلها هي وطفلها، فهي عكازهم الوحيد في هذه الحياة، ليتدمر كل ذلك في لحظة واحدة، هدمت تلك المسرحية عن الوالدين التي تم تمثيلها في فصل إسماعيل كل شيء فوق رأسها.

تنسيق داخلي: منار محمد

فزعت السيدة فاطمة من مكانها عند سماع صوت بكائهم، تستند على عكازها، وتهرول نحوهم, وما أن رأت وضعهم فهمت على الفور، لتوجه حديثها إلى إسماعيل، وهي تنظر إلى منى قائلة:

ـ بابا في السما يا حبيبي، فكما أخبرتك من قبل كلنا سنذهب إلى رب العالمين حيث الجنة تنتظرنا، وبها الرسول الكريم الذي قصصت عليك الكثير من سيرته، ولأجل ذلك لم تره يا حبيبي قط، ولكنه يراك من هناك، ويحبك كثيرًا، لم تكذب عليك والدتك، بل كانت خائفة عليك ألا تستوعب كل ذلك، ولكنني لطالما أخبرتها بأنك بطلي الشجاع.

لمعت عيني إسماعيل بعد سماع هذه الكلمات، وقع لها عظيم الأثر في نفسه، يمسح عن وجهه الدموع، وكذلك وجه والدته، ثم يطبع على جبينها قبلة حانية، وهو يعتذر منها، فهو يحبها كثيرًا، وفرح للغاية بأنها أمه وأبيه، لتنظر منى في امتنان إلى والدتها، ولا تعرف ماذا تقول لها؟, لتساعدها على النهوض بعد ذهاب إسماعيل للعب خارجًا كما طلبت منه جدته، وتقول لها في حب:

تنسيق داخلي: منار محمد

ـ لست بغبية يا ابنتي، فأنا أم يا منى، فهمت عليكِ منذ البداية, ولطالما شعرت بكِ، وإلا لما استحقيت يومًا لقب الأمومة، فلقد حبانا الله بهذا الفضل العظيم، وجعل الجنة تحت أقدامنا، فنحن لا نكف أبدًا عن التضحية، ولولا قوة إيماني لرحلت منذ زمن بعيد على أثر تلك الصدمة، فقد سلمتك إليهم، ووضعتك بيدي في وكر الذئاب، سامحيني يا بنيتي، فمن كان ليصدق بأن من جمعني بها نفس الرحم، تكون بذلك المكر والدهاء، وابنها بتلك الوحشية.

تمت

تنسيق داخلي:-منار محمد